كما نذهب إلى الصلاة

مؤمن سحنون

مؤسسة النازعات
Anaziat

رمضان
١٤٤٦هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

كما نذهب إلى الصلاة

مؤمن سحنون

النازعات

رمضان ١٤٤٦هـ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

على أحد جدران غزة الأبية كتب أحد المجاهدين أثناء القتال عبارة: «سنذهب إلى القتال كما نذهب إلى الصلاة»، وككل رسائل «الطوفان»، تحتاج منا هذه الرسالة إلى وقفة تأملية واستجابات حركية، كيف لا ومَن يكتب لنا هذه العبارات هم من أهل الثغور، من الذائدين عن حياض هذه الأمة ومقدساتها في تلك الأرض المباركة، أرض الصلاة ومحركة دوافع الجهاد.

الصلاة والمسجد الأقصى

فرضَ الله ﷻ على النبي ﷺ الصلاة في أول البعثة، وكانت القبلة في البداية المسجد الأقصى، وكان المسجد حينها بيد الصليبيين، واستقبال النبي ﷺ للأقصى أذان بتحريره ولو بعد حين، كيف لا وهو الذي أمَّ فيه ﷺ كل الأنبياء والرسل في الصلاة في رحلة الإسراء والمعراج، تلك الإمامة التي أخذ رسولنا بموجبها إعلان إمامة هذا الدين لكافة الرسالات والنبوات السابقة، كإعلان عالَمي لتسلّم هذه الأمة الخاتمة لمشعل النور والحرية لكافة البشرية المقيدة بالأغلال.

الصلاة وهتاف الحرية

نقف اليوم في الصلاة مستقبلين الكعبة المشرفة، وبيننا وبين قبلتنا حدود استعمارية تمزق الخريطة، وجيوش تحرس الحدود تحُول بين اجتماع الإخوة

ووحدة قواهم، نقف مستقبلين القبلة التي هيمن عليها وعلى مسجدنا النبوي الاحتلال بقواعده العسكرية، وبلدان يحكمها احتلال محلي يلبس لباس القادة الوطنيين الذين يمثلون الاحتلال الأصلي خير تمثيل، فما أشبه وقوفنا بوقوف المسلمين عندما كانت القبلة الأولى وهي المسجد الأقصى في بداية الدعوة، وكان حينها بيد الصليبيين فإذا به اليوم بيد اليهود، ثم ما أشبه وقوفنا حين أمر الله نبيه ﷺ باستقبال الكعبة المشرفة، وقد كانت حينها بيد كفار قريش وإذا بها اليوم تحت هيمنة الصليبيين بالوكالة..

لكن، هل موقفنا نحن الآن من حتمية تحرير مقدساتنا والعمل لذلك هو نفسه الموقف الذي كان عليه نبينا ﷺ، فحرر في حياته الشريفة الكعبة من سطوة الكفار يوم فتح مكة، وعهد لأصحابه من بعده بتحرير المسجد الأقصى وقبلتنا الأولى، والذي حدث في عهد الفاروق عمر رضي الله عنه، وما موقفنا من وصيته ﷺ عند موته إذ قال: «**أَخْرِجُوا الْمُشْرِكِينَ مِن جَزِيرَةِ العَرَبِ**»[1]!

إنّ قربنا أو بعدنا من موقف نبينا ﷺ هو معيار قربنا أو بعدنا من حقيقة هذا الدين.

---

[1] البخاري (٣٠٥٣)، ومسلم (١٦٣٧).

مَن فرّقَ بين الصلاة والجهاد

يقول الله سبحانه في سورة «التوبة» في بيان حقيقة الأمور ومعيار التفاضل بينها: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾﴾ [التوبة: ١٩]، لتكشف هذه الآية بوضوح المتخفّين وراء سقاية وتنظيم الحج ومتاجرتهم برعاية المسجد الحرام والشعائر، ثم التسويق -عن طريق أحبارهم- لمنزلتهم بين المسلمين أنّ لهم الأفضلية، بل اتخاذهم لهذه القضية لصناعة شرعية في عقول وقلوب المسلمين، تبيح لهم كل جريمة بعدها، يكشفهم هذا البيان الإلهي بأنّ المعيار الحقيقي في أفضلية المؤمنين هو للذين يبذلون من أوقاتهم وأموالهم ودمائهم وأرواحهم جهادًا في سبيله وإعلاء لكلمة التوحيد وذبًّا عن مقدسات المسلمين وأعراضهم ودمائهم وأموالهم، فهم أهل التوحيد حقًّا ولهم الفضل الحقيقي.

ثم يتواصل البيان الإلهي في بيان منزلة المجاهدين: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [التوبة: ٢٠-٢٢]، على أنّ هذه المقارنة بين مجاهدين ومَن يتولى من المسلمين سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام، فما

بالك بمن يوالي الأعداء ويشيع الفسوق والإلحاد في جزيرة مُحَمَّد ﷺ ويبيحها للنهب الخارجي، بل ويتآمر مع الأعداء على المسلمين.

قرع القلوب وإيقاظ البصائر في الصلاة

كتب الله على المسلمين في صلاتهم، سواء المكتوبة أو النافلة، قراءة سورة الفاتحة التي هي أُم الكتاب، بحيث لا تصح الصلاة الا بها، ومن حكمة المولى سبحانه في فرض قراءة الفاتحة ضرورة تكرار جملة من المعاني على قلب المؤمن وعلى فكره في لحظة وقوفه مناجيًا ربه في الصلاة، ومن تلك المعاني التذكير بالطريق، بدعاء الله ومناجاته أن يرشدنا بمَنّه لطريقه الذي يرضاه: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾ [الفاتحة: ٦]، الصراط وهو الإسلام، وهو الطريق المستقيم، ويزيد البيان الإلهي في تبيان معالم أهل الصراط وصفاته بقوله سبحانه: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٧]، وقد فصّل القرآن في الذين أنعم الله عليهم في قوله سبحانه في سورة «النساء»: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ۝٦٩﴾ [النساء: ٦٩]، ومما سبق يتبين أنّ الشهداء يفوزون بمعية النبيين والصديقين والصالحين في صفوة المنعم عليهم، والشهادة طريق لتحصيل درجة الإنعام من الله وسلوك صراطه المستقيم.

يزيد البيان الإلهي في إيضاح الصراط المستقيم ببيان ضدها والطريق التي على المسلم اجتنابها: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧﴾ [الفاتحة: ٧]، والمغضوب عليهم هم اليهود، وسبب غضب الله عليهم كونهم عرفوا الحق وجحدوه إعراضًا عن تبعات الحق، والضالون هم النصارى الذين لم يسعوا لطريق الحق والهداية.

هذا هو الطريق..

الصلاة والتربية على التلبية

فُرضت الصلاة في أوقات متوزعة على كامل اليوم والليلة، وقد يتغير توقيت النداء للصلاة حسب موعد شروق الشمس وغروبها، الذي يتحرك زمنيًّا طيلة أيام السنة واختلاف الفصول، والمؤمن مأمور بتلبية النداء يوميًّا على اختلاف حركة مواقيت الصلاة والتحرك مع حركته الزمنية، وفي هذا تدريب وتمرين يومي وإعداد وتربية على مبدأ سرعة الاستجابة الذي يصنع في المسلم شخصية سريعة الاستجابة لنداء الله في كل الميادين وكل الأوقات، وأهمها ميدان الدفاع عن هذا الدين الذي هو عبارة بناء ذروة سنامه الجهاد:

- حركة واستجابة لا تعيقها العوائق: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ٣٨﴾ [التوبة: ٣٨].

– حركة لا تثنيها الظروف: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِي ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾﴾ [التوبة: ٨١].

– استجابة تتخطى عقبات النفس وعقبات الواقع: ﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾ [التوبة: ٤١].

– استجابة تستعلي على الجراح والآلام: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾ [آل عمران: ١٧٢-١٧٣].

وقد كانت سرعة الاستجابة هي السر الذي جعل من المسلمين أمة مرهوبة الجانب، بلغت بأحد الصحابة أنْ أَسَيطول الزمن الذي قد يقضيه في أكل تمرات قليلة تبطؤه عن واجب خوض المعركة، وبلغت أنْ صنعت تلك السياحة العظيمة التي عاشها الصحابة والفاتحون بين الأمصار، فيُدفن أحدهم في شمال إفريقيا والآخر على حدود القسطنطينية، ويبكي أحدهم عندما حضره الموت وهو على فراشه.. وكذا كان تأسي الأبطال من بعدهم بسيرهم إلى يومنا هذا.

في الختام

إنّ رسائل «الطوفان»، ونداءات المسلمين، لجديرة أن تحرك كل قلب حي، وإن فُصل الناس عن الصورة الشاملة لدينهم وتقديمه جزئيات منفصلة عن تصوره الكامل الذي يشمل الصلاة ويشمل المقاومة والجهاد، لهي جريمة في حق هذه الأمة، نرى أثرها في دماء إخواننا التي تسفك يوميًّا على مرأى العالم ومسمعه في صمته المشين.

إنّ الذي فرض الصلاة والحج والزكاة والصيام سبحانه هو الذي فرض على المسلمين أفرادًا وجماعات فريضة الجهاد للدفاع عن مقدساتهم ودمائهم وأعراضهم وأموالهم.

وإنّ التصور النقي لهذا الدين هو في حركة المسلمين لتأدية الواجبات جميعًا، خاصة واجبات الوقت وفرائضه التي تحتم على كل فرد أن يدفع بما يقدر في معركة الأمة الدائرة في كل بلدانها.